

## ترجمة العلامة المربي الزاهد الفقيه الشيخ

ألقاها ولده أحمد الكلاس

محمد أديب الكلاس رحمه الله تعالى

في 2009/12/24 في مسجد

التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، صل اللهم وسلم وبارك وعظم وأنعم على سيدنا محمد كما تحب أن يصلى عليه وزدنا يا مولانا حباً فيه حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

إخوتي في الله، جلسة الوفاء هذه: هي جلسة عهد مع الله ورسوله، لنستقيم على العهد، لا نغير ولا نبدل، حتى نلقى الله تعالى وهو عنا راضٍ، فجزاكم الله تعالى خيراً.

قال تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وألئك

هم المفلحون) [آل عمران: 104]

أما والله، فإني لا أستطيع ترجمة سيدي الوالد رحمه الله تعالى، لأنَّ مَنْ عرفه فقد عرفه، ومن لم يعرفه فقد أحبه:

كيف السُّلُوُّ وكيف صبري بعده؟ وإذا دُعيت فإنما أُكْنَى به

ولكن لا بدَّ من جهد المقل، وما نحن إلا كأعواد البقل في جوار النخل، أمَّا سيدي وشيخي السيد الوالد فهو العلامة المربي الزاهد الفقيه الشيخ محمد أديب الكلاس بن أحمد بن الحاج ديب الدمشقي أصلاً، والكلاس شهرةً وعملاً، والإمام والخطيب دعوةً، والأدب والتواضع سمةً، وعلو الهمة شرفاً، وحب الفقراء والمساكين وطلاب العلم أخلاقاً، واحترام شيوخه أدباً، ومقارعة الشُّبُه والباطل عمرياً، وحب الخلفاء بكرياً، واحترام آل البيت مودةً ورحمةً.

## ولادته ونشأته:

ولد في دمشق الشام في حي القيميرية عام 1921م، وسُمي محمد ديب الكلاس. والده: جدي (أحمد الكلاس)، كان مجاهداً ضد المستعمر الفرنسي. قف دون رأيك في الحياة مجاهداً إن الحياة عقيدة وجهاد وكان والده رحمه الله، ذا حجة بينة، مستحضراً كتاب الله عز وجل، وكانت له شهرة بإتقانه لعمله. أما والدته، فهي السيدة (درية الكلاس)، وقد عُرِفَتْ بِسَعَةِ الصدر، وبالأخلاق الحسنة، وبالعلم والأدب، وقد توفيت والشيخ محمد أديب الكلاس غلام، فقامت ببعض شؤونه أخته - واسمها بشيرة- وخالته زوجة أبيه، وقد عُرِفَ منذ صغره بنشاطه وذكائه واعترافه بالحق لغيره.

## تواضعه:

أما تواضع سيدي الشيخ فلم يكن بدعاً، بل كان رداءً ألبسه إياه الله عز وجل، حيث كان إذا اجتمع للعب مع أقرانه الأولاد في مكان نشأته، قال: أنا مع مَنْ؟ ولم يكن لينشئ حلقة أخرى للعب يقارع فيها أقرانه أبداً، إذ كان التواضع سمة فيه منذ صغره.

## شيوخه في تحصيل العلوم:

أودعه والده في كتاتيب المشايخ لتلقي العلوم النافعة - والكتاتيب: مدارس أهلية تأخذ أقساطاً مقابل تعليم الطلاب - رغبةً منه بتنشئته بعيداً عن المدارس الحكومية أيام الاحتلال الفرنسي، وكان الشيخ - رحمه الله تعالى - لا يشارك في درس اللغة الفرنسية بل كان يجلس صامتاً، لأنه يعتقد أن هذه اللغة هي لغة المحتل، حتى إذا أعيى الطلاب سؤالاً ألقى على أسماعهم، كان الأستاذ يقول: أنا أعرف من يجيب، إنه أخوكم ورفيقكم تلميذنا الكلاس، انظروا كيف يجيب، فيوقد بذلك شعلة التحدي عنده، لأن السيد الشيخ كان يعرف الإجابة ولكنه ما كان يجيب حتى يُسأل، فيسأله أستاذه فيجيبه، ومن ثمَّ نصبه الأستاذ عريفاً للصف! تودداً إليه، وتقرباً منه، و ذلك ليشارك في دروس اللغة الفرنسية، وقد رأى منه أستاذه اجتهاداً وذكاءً ونباهةً فاق بها أقرانه.

ثم دَرَسَ في المدرسة الكاملية، ثم في المدرسة الجوهريّة السفرجلانية، حيث أدركَ الشيخَ الجليل (محمد عيد السفرجلاني)، وهو يومئذٍ شيخُ الشام على الإطلاق، وبعد ذلك انتقل إلى المدرسة الأمينية، وكان فيها من الأساتذة الشيخ (كامل البغال). ومن درسه أيضاً الشيخ (محمد خير الجالاد)، وبعدها انتقل إلى مسجد الشيخ (عبد الله المنجلاني) وكتّابه، ومن ثم ذهب إلى مدرسة الإرشاد والتعليم.

ولما بلغ الشيخ من العمر عشر سنوات وكان ذلك في عام 1931م، قرأ الأربعين النووية، ومبادئ الفقه بنور الإيضاح، على الشيخ الراحل العلامة صاحب النهضة في بلاد الشام، المغفور له (محمد صالح الفرفور الحسني).

ثم بدا لوالده أن يعلمه مهنة الخياطة على يد بعض الخياطين فمنعه ذلك من متابعة دروس الشيخ الفرفور، لأنه كان يعمل حتى منتصف الليل، في هذه الآونة.

ولكنه عاد بعد ذلك ليعمل مع والده في حرفة الكلاسة والطين العربي، وكانت خبرة والده آنئذ ممتازة جداً، فهو المهندس المتفوق بناءً، وعماراً، وإنشاءً والشيخ الزاهد صدقاً وإخلاصاً.

وفي تلك الفترة بدأ الشيخ أديب رحمه الله بالتردد إلى حلقتين: حلقة مجلس الصلاة على النبي ﷺ للشيخ سهيل الخطيب، وحلقة الشيخ هاشم الخطيب التي يقرؤون فيها القرآن الكريم.

وكان من أسباب عودته إلى تلقي العلوم على الشيخ محمد صالح الفرفور: أن الشيخ أديب كان مرجعاً لأخيه الأصغر - الذي كان طالباً في صفوف دراسته المتقدمة - في العضلات الحسائية، فكان يتعجب منه أخوه ويقول له: لو دَرَسْتَ معي لحصلت أعلى الدرجات! وكان الأخ الأصغر - واسمه رمزي - أخوه لأبيه غير قادرٍ على شرح الدروس لأخيه الشيخ (أديب) مثلما تلقاها من أساتذته، فيقول للشيخ محمد أديب الكلاس لو ذهبت معي إلى المسجد لوجدت جواباً لأسئلتك المركزة، التي تحتاج لأستاذ يجيب عنها، فقال له الشيخ أديب: أعلم ذلك، فكانت العودة الميمونة للشيخ من أجل تلقي العلم بشغف وشوق، فأضحت طريقة عودته لطلب العلم حافزاً نشطه وعبرةً أفاد منه، وكان ذلك بعد أن سمع من صاحب مطبعة الترقى الأستاذ (صالح الحيلاني) قولاً بليغاً عن الذي يصرف وقته إلى جسده، ويترك العلم والمستقبل والروح وينشغل بالرياضة، حيث قال ذلك الحكيم لولده: " يا بني أنا لا أعجب من رجل يحمل مئتي رطل، ولكنني أعجب من رجل يخطُ خطأً فيغير وجه الأرض"، فكان أن وقع هذا

الكلام من الشيخ موقع الحق والحضارة، فدخل إلى سماء الله في أرضه؛ أي: إلى المسجد، لأن المسجد يكون في الأرض ولكن السماء تكون فيه.

فلما رأى العلامة الشيخ محمد صالح الفرفور عودته ثانية رحب به، وقال له: وجهك أم ضوء القمر، لِمَا عرف من نباهته وفطنته وحفظه، وبذلك انضم الشيخ رحمه الله تعالى إلى قوله تعالى:

﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [التوبة: 122]

وبعد ذلك جعله الشيخ صالح الفرفور في حلقة الأستاذ (عبد الحليم فارس) رحمه الله، وكان قريباً من الشيخ صالح الفرفور، فقرأ عليه الجزء الثاني من كتاب /الدروس النحوية/ وحاز المرتبة الأولى عندما امتحن به، وكانت جائزته كتاب /الرسالة القشيرية/ هدية من المربي العلامة الشيخ محمد صالح الفرفور - وما يزال الكتاب عند الشيخ يعتز به - ثم قرأ الجزئين الثالث والرابع من كتاب الدروس النحوية، وشرح ابن عقيل، والبلاغة الواضحة.

وقرأ أيضاً بعض متون الفقه عند سيدنا ومولانا الشيخ (عبد الرزاق الحلبي) - حفظه الله وعافاه - ثم قرأ علم التوحيد من أمهات الكتب المعتمدة على الشيخ العلامة (محمد صالح الفرفور)، وتعلم منه جُلَّ أبواب العلوم، والفنون والمنطق، والفرائض والتفسير والحديث ومصطلحه والفقه والتجويد، والعروض، والتصوف، وبعضاً من خلاصة الحساب للإمام العملي.

وكان الفجرُ عند الشيخ - رحمه الله - وقتاً للعبادة إضافة إلى كونه وقتاً للدرس في /حاشية رد المحتار على الدر المختار/ للعلامة (ابن عابدين) مرجع الفقه الحنفي على يدي الشيخ صالح الفرفور، أما المساء فكان لمتابعة الدروس، ولكن ذلك لم يمنع الشيخ من العمل مع والده فكان أن جعل النهار للعمل مع أبيه رحمه الله.

وقد كان الشيخُ حفظ /ألفية ابن مالك/، وكتب خلاصة دروسه، وكررها للحفظ في أثناء عمله نهاراً مع والده، حتى إذا ما أخذ أجرته من والده انقطع في جامع الفتح للدراسة والحفظ، فإذا نفدت نفقته، سأل والده العمل، فإن لم يكن ثمة عمل عاد طاوياً على جوعه، وربما لم يدخل شيء جوف الشيخ في ثلاثة الأيام إلا الماء، إذ كان يتعفف عن سؤال المال من أبيه لأنه كان يراه شيخاً مسناً، فليس من الرجولة في رأيه أن يشارك إخوته الصغار طعامهم

- حيث لم يكن يعلم بحاله تلك إلا الله عز وجل - فلا يحدث أحداً بما يجري له يقيناً منه بأن ما قُدِّرَ لفكيه أن يمضغه فهما ماضغاه.

وشاءت إرادة الله للشيخ الكلاس أن يتفرغ لأموار الدعوة إلى الله تعالى، فكان إماماً وخطيباً في العديد من مساجد دمشق، ومدرساً للعلوم التي تلقاها عن مشايخه، ولم يفتته - وهو عند الشيخ صالح طالباً ومدرساً في معهده - أن يتلمذ بعض الشيء للعلامة الطيب الشيخ (محمد أبو اليسر عابدين) مفتي سوريا وقبلة العلم في بلاد الشام في زمانه، والذي كان يقول له: "ليتني عرفتك من قبل"، لِمَا أعجبه من علمه، وسعة إطلاعه، وتدقيقه في المسائل العلمية، وحثه البالغة، وتواضعه، وزهده.

وقرأ - رحمه الله تعالى - بعضاً من سور القرآن الكريم على الشيخ العلامة المقرئ (محمود فايز الديرعطاني)، وكثيراً ما سرُّ منه العلامة الديرعطاني لباهته وفطنته، فكان يسأله في بعض المسائل، يعجبه جواب الشيخ أديب الكلاس رحمهما الله.

ولقد قرأ الشيخ الكلاس القرآن على الشيخ (أبي الحسن الحناز)، والذي كان معروفاً بإتقانه لكتاب الله عز وجل، إضافة إلى أن الشيخ الكلاس كان قد قرأ على الشيخ (فوزي المتير)، وعلى الشيخ (أحمد عبد المجيد الدوماني)؛ والدوماني هو أحد تلاميذ الشيخ (محمد سليم الحلواني) شيخ القراء في عصره، ولقد أكرمني الله عز وجل فقرأت بمعية سيدي الوالد على ذلك الشيخ الجليل رحمه الله تعالى.

ولقد نبغ الشيخ نبوغاً كبيراً، فكأنه كان قد حوى في صدره جميع ما قرأه فوعاه، حتى غدا جبلاً من جبال العلم يمشي على الأرض، وقد سمعته يقول عن نفسه وهو تلميذ: وقت الامتحان أنظرُ في السؤال، ثم أتذكر كلام الشيخ المدرس، وكلام الأستاذ، فأكتب ما قاله فأخذ العلامة التامة.

ومع ذلك العلم الغزير و المرتبة الرفيعة لم يترك الشيخ مساعدة والده في عمله، بل كان يحرص على نيل رضاه فيعمل معه نهاراً، ويتابع تحصيله العلمي ليلاً.

## شيوخه في الإجازة:

أجازته العلامة الشيخ (محمد صالح الفرفور) إجازة عامة في العلوم الشرعية والعربية، كما أجازته الشيخ الطبيب (أبو اليسر عابدين)، ونال إجازة في الطريقة الشاذلية من الشيخ المريني (محمد سعيد البرهاني).

وقد أكرمه الله بإجازة في كل من الطرق التالية: النقشبندية، والتشيتية، والقادرية، والسهرورية، والقلندرية، من الشيخ (أحمد وهاج الصديقي) الباكستاني مولداً، والمكي إقامة. وتبادل الإجازة في دمشق مع مولانا الشيخ الحافظ (عبد الرزاق الحلبي) أمتع الله به، كما وتبادل الإجازة في مكة المكرمة مع السيد (محمد بن علوي المالكي).

وكان الشيخ في أسفاره إلى الحجاز يلتقي بكبار العلماء والمحدثين في العالم الإسلامي، ويتبادل معهم الإجازات، وكان رحمه الله لا يعلن عن إجازة نالها من أحد من العلماء خشية أن يدخل العجب إلى نفسه، وتواضعاً منه لله تعالى، فإذا كان معه أحد من طلابه أو أولاده، أخبر الناس بما حصل عليه الشيخ من جديد إجازة، وكان الشيخ كثيراً ما يقول: "أنا كلاس ما عندي شيء والفضل لله وحده".

## عنايته بالعلم والتعليم والإرشاد:

برع الشيخ بالمناظرة، وإبطال الشبهات، والرد على أهل الأهواء، والملحدون والمبتدعين كما أن له شغفاً بالتوحيد وعلم الكلام، لذلك فهو صاحب حجة وبرهان، وإقناع مع رحابة صدر شديدة، وتواضع جم، وزهد كبير.

له حظ كبير في علوم الفرائض، والفقه، وعلوم الآلة، ولعل أحب علم لديه هو الفقه والتوحيد، وأذكر - ونحن نقرأ بين يديه - مثلاً: كيف تتعلق القدرة بالممكن فقط فلا تتعلق بالمستحيل ولا تتعلق بالواجب، عندما كان يشرح جوهرة التوحيد عند قوله:

وقدرةً "مممكن تعلقت بلا تناهي ما به تعلقت

فقال القدرة تتعلق بالممكن، ولا تتعلق بالمستحيل، مثال ذلك: لو أخذت ورقةً مكتوبة ووضعتها على أذنك، أتقول إن الأذن لم تقرأ الورقة؟ لا يمكن أن تقول ذلك، لأن وظائف الأذن تتعلق بالمسموع فقط، فلا نقول الأذن عاجزة.

وكذلك سأله مفتي درعا الأستاذ (أبا زيد) حفظه الله - وكان في قسم التخصص في مجمع الفتح الإسلامي - كيف لا تتعلق القدرة بالمستحيل؟ فأعطاه دليلاً في درسه مختصراً واضحاً، يزيل كل شبهة، وقد سرُّ به وذكره يوم تعزيتته بالشيخ أديب رحمه الله تعالى.

وصف الشيخ أبو اليسر عابدين الشيخ أديب الكلاس بقوله إنك تشبه الفاروق (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه، لما يتمتع به من طبع يقارع الباطل، ولا يخشى في الله لومة لائم. دَرَسَ الشيخ في معهد الفتح الإسلامي منذ تأسيسه بيد الشيخ محمد صالح الفرفور، والمدرسة الأمينية، وبعض الثانويات كدار الثقافة، وثانوية الشرق.

وكان رحمه الله يتواضع لطلاب العلم، ولا يرد طالباً ولو كان مبتدئاً، وإذا طُلب منه قراءة متن في مبادئ العلوم أو الفقه، لا يصرف الطالب أبداً ويقول له: هذه أوقات فراغي إن وجدت ما يناسبك، فضع الوقت الذي تريده فنقرأ فيه معك إن شاء الله تعالى.

أَلَا رَبُّ مَكْرُوبٍ أَجَبَتْ وَخَائِفٌ أَجْرَتْ وَمَعْرُوفٌ لَدَيْكَ وَمُعْجَبٌ إِذَا سُئِلَ عَنِ تَلَامِيذِهِ وَطَلَابِهِ، فيقول مادحاً ومتواضعاً لهم: هؤلاء أساتذتي، فالعلم يزكو بالإنفاق، والفضل بيد الله.

وكان لا يصدر عن فتوى إلا بالقول الراجح المعتمد، وإذا ضاق الأمر على السائل ذهب معه إلى أصحاب المذاهب الأخرى المعتمدة إن علم له جواباً عندهم بالراجح من القول.

فتح الشيخ داره لكل سائل، يرجو بذلك ثواب الله وحده، وما دُعي إلى خير وإصلاح ذات البين إلا أجاب، وما دُعي إلى معروف إلا وسعى فيه ليطمئنه، فكان في خلقه كما مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين عرّف الفرزدق بزين العابدين رضي الله عنه:

ما قال لا إلا في تشهده      لولا التشهد كانت لاؤه نعم

(فائدة)

نعم في البيت: هي حرف جوابي، مبني على السكون، في محل نصب خبر كان، حرك بالضم للروي، وهذه أنقلها عن شيخ القراء الشيخ كريم راجح حفظه الله.

## تلاميذ الشيخ:

تلاميذه: هم الذين قرأوا عليه، أو حضروا دروسه. وهم لا يُحصون كثرةً من بلاد العالم الإسلامي كله، و من الذين تخرجوا من معهد الفتح الإسلامي، وقد أجاز الشيخ طلابه الذين تخرجوا من معهد الفتح الإسلامي، أو واطبوا على درسه ورأى فيهم نباهة طلاب العلم، فأجازهم جميعاً بإجازاته عن شيوخه بالمعقول والمنقول، وأوصاهم التزام المذاهب الأربعة: الحنفي، والشافعي، والمالكي، والثابت عن الإمام أحمد بن حنبل، مع مواصلة العلم والتحصيل، والدعاء له في ظهر الغيب.

من قرأ على الشيخ أحبه، ومن سأله مرةً يُصَادِقُه، ومن دخل داره يعلم تواضعه وفرحه بضيف الله، ومن سمع كلامه علم إنصافه، ومن نظر إليه رأى نوره وهيبته.

وأذكر قصة لأحد تلاميذ الشيخ وكان فتىً يقرأ بعض المتون، طلب الدرس وحده، وكان سيدي الوالد يقرأ من بعد الفجر فتأخر ذلك الفتى عن وقت الدرس، فدخل سيدي الوالد إلى غرفة أخرى مستلقياً، فجاءت والدي رحمها الله بالطعام فأبى أن يأكل وقال: الآن وقت الدرس، ولعل الطالب يأتي متأخراً قليلاً، ثم ما لبث أن غفَى، فطُرق الباب وفتح أخي، وقال الطارق: أريد أن أدخل إلى الشيخ لأقرأ له الدرس، فقيل له: نام الشيخ، قال: إذاً لا توقظه ثم انطلق، واستيقظ والدي فقال: ألم يأتِ؟ قالوا: بلى ولكننا قلنا إنك نائم، قال: ويحكم لا تغلقوا باب رزقي مع الله عز وجل، لا تفعلوا ذلك أبداً، أنا والله لو كنت بائعاً أبيع وأشتري، ثم جاءني رجل يريد أن يشتري بخمس ليرات أفلا أبيع؟ وكذلك بيعي وشرائي وربحي مع الله عز وجل بتدريسي العلم، والله وحده هو الذي يعطيني الأجر والثواب.

يرى أفضلَ الكسبِ أن يُحمداً

ترى الحمدَ يَهوي إلى بيته

(ولكن عند الله تعالى)

## وظائفه التي تقلدها في دمشق:

تقلد الشيخ منصبَ حَطيِّبٍ في مسجد " تحت القناطر " قرب مكتب عنبر، ووظيفة إمام في جامع الصحابي الجليل "أبي بن كعب الأنصاري" في مدخل الغوطة الشرقية، وفي مسجد "القطط" بحي القيمرية قرب الجامع الأموي، وكذلك مسجد "السيدة رُقِيَّة" رضي الله عنها في



محلة العمارة، ثم في مسجد "تنكز"، وكذلك عمل خطيباً وإماماً في جامع "الخير" في حي المهاجرين، ومدرساً فيه للفتوى، وخطيباً في جامع "الشمسية"، ثم أخيراً استقر في جامع "الحمد" على رايبة قاسيون خطيباً، كما درّس الفقه الحنفي وهو في ريعان شبابه في مسجد العارف بالله الشيخ "محي الدين بن عربي".

وأذكر حادثةً - عندما كان يُدرّس في مسجد "الخير"، وقد طُلب إليه ذلك ليجمع الشباب على تعلم الفقه، فتستطيع أن تقول: إنه أقرأهم في ذلك المسجد الفقه المقارن، فكان يقرأ الحُكْمَ ودليله - وحدث في يوم من الأيام أن جلس طالب من الشباب وكان بفكره بعض الشك، فلما ذكر الشيخ الأكبر قال الشاب: الشيخ الأَكْفَر!! عن الشيخ محي الدين - رحمه الله وأعلى قدره - فأغلق والدي الكتاب، ثم نظر إليه وقال: يا ولدي أريد أن أسألك سؤالاً تجيب عليه: أنت تقول الشيخ الأَكْفَر، هَبْ أننا جعلناك بما يُعرف اليوم رئيساً لمحكمة الجنايات بيدك قتل إنسان وبيدك إبراؤه مما نسب إليه، وكنت في زمن دولة إسلامية فيها شيخ الإسلام، أكنت ترسل سيافك ووجدك لقتله في داره لهذا الذي تَنَعْتَه بالكفر؟! أم تأتي به لتسأله؟ قال: آتي به لأسأله، قال: إذا هذه واحدة لم تقتله، فإذا سألتَه فأجابك جواباً يُقر به الشرع أكنت تقتله؟ قال: لا، قال: هذه ثانية. فإن أجابك جواباً لم تعرف معناه وفقهه، فأتيت بالعلماء فقالوا: إنه صواب لا بأس به، أكنت تقتله؟ قال: لا، قال: هذه الثالثة. وبدأ يُعدد حتى عد تقريباً عدد أصابع اليدين، ثم قال له: فلو قال لك كلاماً كُفراً بواحاً أكنت تقتله؟ قال: نعم، قال الشيخ: واحدة مقابل عشرة!! يا أخي: "من كَفَرَ مؤمناً فقد بَاءَ بها أحَدُهُما"، أين كتاب الشيخ بخط الشيخ؟ حتى نقول كتاب الشيخ وخط الشيخ.

لقد كذبوا على رسول الله ﷺ أفيتورعون أن يكذبوا على علماء وصلحاء الأمة؟ ثم قال له: (قاعدة أساسية في دين الإسلام) نحن نعتبر كل كلام مخالف للشريعة الإسلامية هو مدسوس على الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله تعالى، وفي ذلك كل الإنصاف والعدل.

طلب الشيخ إلى التوجيه والتعليم والدعوة إلى الله في بلاد كثيرة عربية وغير عربية فلم يُعر اهتماماً لذلك، وفاءً لشيوخه بالسيرة على هُجهم، وبقي يقول عن شيوخه:

(ولا تنسوا الفضل بينكم) [البقرة: 237]

فلا والله لا تَسْلَاكَ نفسي لِفَاحِشَةٍ أَتَيْتَ وَلَا عَقُوقِ

## بعض أخلاق الشيخ :

• كان الشيخ كريماً يجود بكل ما في يده .  
 حَدَّثَ مرةً أن قالت زوجة الشيخ: لقد بَلَيْتُ الجُبَّةَ من أكمامها، فلا بد من واحدة جديدة ليوم الجمعة، فقال الشيخ: إن شاء الله ندخر ثمنها وثنم خياطتها. ولما اشتراها الشيخ وخاطها، ذهب بها إلى خطبة الجمعة، وخرج يرتديها يوم السبت لمعهد الفتح، وكان المكان قريباً من باب السلام في دمشق القديمة، وعاد الشيخ بعد الظهر إلى منزله ولا يلبسها! فقالت أمي رحمها الله: يا سيدي، أين الجبة؟ فقال: عندك بالخزانة! قالت: أسالك عن الجبة الجديدة؟! فقال: افتحي الخزانة وستجدين جبةً!! فقالت: لعلك نسيتها في المعهد أو في المسجد، دعني أرسل ولدنا أحمد فيحملها إليك فقال: لا لاتفعلي. فانفعلت وحلفت أن يخبرها أين الجبة الجديدة!! فقال: - لا حول ولا قوة إلا بالله - الجبة ذهبت، احمدي الله أني لم أذهب معها. قالت: لا بد أن تخبرني، فقال: - وهو لا يريد أن يتكلم - لقد أعجبت طالباً تركياً فأعطيتها له، وقلت له هي هدية بارك الله لك بها. فقالت: أَوْ فَعَلتَ؟! قال: نعم، والحمد لله أني لم أذهب مع الجبة! يريد مباستطها ومؤانستها. فقالت: وما نفعل بالمهترئة القديمة. قال: لا بأس بما سأصنع بما بعض ما تعلمته من الخياطة، وستعيش معنا عمراً آخر، وكان ذلك.

• يتواضع لطالب العلم.

• يكره الظلم ويعين المظلوم.

• من استدان من الشيخ مالا لا يطالبه الشيخ بالدين ولو لم يرجعه المدين.

تَعَفٍ وَ تَعَرَفٍ حَقَّ الْقَرِي

وَتَتَّخِذُ الْحَمْدَ ذُخْرًا وَكَثْرًا

• لا يجب أن يستأثر بالخير لنفسه، ويؤثر غيره على نفسه.

مَا دَرَى نَعَشُهُ وَلَا حَامِلُوهُ

مَا عَلَى النَّعَشِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودٍ

• متأدباً مع شيوخه وأهل العلم، وهكذا العلماء العاملون.

• صاحب دعاية وتودد ولطف. ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ [آل عمران: 159]

• يجب صلة الرحم كثيراً، ويقوم بشؤون أرحامه.

جَمِيلُ الْمُحِيَّا ضَاحِكٌ عِنْدَ ضَيْفِهِ

أَغْرُ جَمِيعِ الرَّأْيِ مُشْتَرِكُ الرَّحْلِ

• يُقَدِّمُ الدرسَ وطالبَ العلمَ على راحته وأهله، ويقول: هؤلاء رزقي عند ربي ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ [القصص: 77]

• لا يحب الظهور، ويجب التواضع، ويكره المتكبرين ولا يحب مجالستهم. ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان: 63]

• يجب الرجوع إلى الصواب، ويتمناه لعباد الله جميعاً.  
لا يُمسكُ الفحشاءَ تحت ثيابه      حلُّ شَمَائِلِهِ عَفِيفُ المِئْزَرِ  
• ينظر في الأشياء بتبصر وما وراءها، ولا يُغريه منصب ولا مال.  
وَقُورٌ إِذَا القومِ الكِرَامُ تقاولوا      فَحَلَّتْ جباهم واستطبروا من الجهلِ  
• يذكر أهل المعروف بالخير دائماً، ويدعو لهم ويقول مشجعاً: (أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة).

• يجب قضاء حوائج الناس، ويجب أن يشفع لهم كما يقول ﷺ: ( اشفعوا تؤجروا ثم يقضي الله على لسان نبيه ما يريد) أخرجه أحمد (رقم 19599)، والبخاري (رقم 1365).  
ومسلم (رقم 2627)، وأبو داود (رقم 5131)، والترمذي (رقم 2672) وقال:  
حسن صحيح والنسائي (رقم 2556).

فلئن صارَ لا يُجيبُ لقد كا      ن سميعاً هَشَّاءً إذا هو نودي  
• يحسن إلى صديقه ويقدمه على نفسه.  
إذا القوم قالوا: مَنْ فِتَى لِمُلَمَّةٍ      فما كُلُّهُمُ يَدْعَى ، ولكنه الفتى  
• فطن لكل كلمة تقال، وصاحب جواب سريع بالحق.  
لَسِيْباً أَعَانَ اللُّبَّ مِنْهُ سَمَاحَةٌ      خصيباً إذا ما رائدُ الجَدْبِ أَوْضَعَا  
• إذا سأله فقير أعطاه ما في يده، أو قال: أعطيك بعض متاعي فانظر هل يعجبك شيء!  
فخذه.

ولقد حَدَّثَ أن جاءه رجل يريد الزواج، ويشتكى أنه لا يجد المال لذلك، وقال له: يا سيدي لو ذهبتَ معي إلى التاجر فلان، فإنه سيعطيني المال، فقال الشيخ: رحمه الله ولكني لا أعرفه. فقال السائل: يا سيدي هو يعرفكم، وذهب معه والذي رحمه الله

تعالى ولم يجتمعا بالتاجر فعادا، ثم طلب في يوم آخر أن يتزل معه الشيخ أديب رحمه الله تعالى، فلبى طلبه لكنهما لم يجتمعا به للمرة الثانية، فرجع والدي وقال: يا أخي خذ مكثتي فبعها! واشتر ما تحتاجه فليس عندي غيرها، أو تأخذ هذه الأرائك (طقم كنبات حفر) لا يوجد مثله اليوم، فقام الرجل السائل فجعل يقلبه، وظن أن فيه عيباً، وتعجب أخي الموجود في منزل الوالد الشيخ أديب واتصل بي هاتفياً وقال: إن في منزلنا رجل نصاب يريد أن يأخذ متاع الشيخ، أو مكتبته في وضح النهار ويدعي فقره واحتياجه، فأريد أن تحضر أنت، وجمت إلى بيت سيدي الوالد الشيخ أديب، وسلمت عليه فرحب بي، وقلت: يا سيدي ألم تعلمنا ما ذكره الفقهاء: من موانع الرجوع في الهبة، وهي مجموعة بحروف ( دَمَعٌ حَزَقَةٌ ) قال: بلى، قلت: وقلت لنا: إن الزاي للزوجية قال هذا صحيح، فقلت له: ألم تهب هذه الأرائك لزوجتك أمي، فقال: نسيت، ثم التفت إلى الرجل وقال: والله لقد نسيت يا أخي خذ مكثتي فبعها، وكان قد ظهر شيء من الضيق على الشيخ، فنظر الرجل كيف صنع واستحى من قلة حياته وانصرف.

إذا القوم قالوا: مَنْ فِتَى؟ خَلِيتُ أَنِي عُنَيْتِ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ  
 • يجب الصراحة والبلاغة فيها، ويكره الغمز على الناس والتعالي عليهم.  
 • يجب المداومة على الحج والعمرة، ويجب أن يبقى شهراً كاملاً فترة الحج يتعبد الله ويتقرب إليه.

• يجب قراءة التاريخ ويذكر عبْرَه لطلابِه.

فإن تكن الأيام فرّقنَ بَيْننا فقد بانَ محموداً أبي يومَ ودَّعَا  
 • يجب الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: "عقيدة المسلم فيهم وأمرهم في الفضل كالخليفة" ويجب آل البيت، ويكرمهم، ويُجلِّهم، ويدافع عن الصحابة، ولا يذكرهم إلا بخير.  
 ويقول: هكذا المسلم العدل كآل البيت، يحبون الصحابة جميعاً ولا ينالون من أحد شيئاً  
 • يجب الربانيين من عباد الله الصالحين والأولياء الذين لم يُعرف عنهم إلا الاستقامة والعمل الصالح.

• يثق بما عند الله وحده، ولا يلتفت إلى شيء سواه، ويعرف كُنْهَ الحقيقة وهي: أن العبرة بروح النعمة لا بمقدارها. وبذلك كان يعيش هادئاً مستريحاً، كأن ليس في الدنيا إلا أشياءؤها الميسرة .

تَجَرَّى عَلَى النَّاسِ لِمَا فَقَدْتُهُ وَلَوْ كَانَ حَيًّا لاجْتَرَأْتُ عَلَى الظلم

وكان رحمه الله يَخشى من فساد الناس أن يتفاضلوا فيما بينهم بالمال وتختلف درجاتهم فيه، وتكون مراتبهم على مقدارهم، تكثرُ به مرةً وتقلُّ مرةً، فيكون الدين على النفوس كالدخيل المزاحم لموضعه والمتدلي في غير حقه، وبهذا يرجع باطل الغني ديناً يتعامل الناس عليه، ودينُ الفقير بهَرَجاً لا يروج عند أحد، وليس هذا من ديننا الذي هو دين النفس والخلق، وإنَّ ألفَ بعير يملكها الرجل، لا تزيد في منزلة دينه قَدْرَ نملة ولا ما دونها.

والحجران - الذهب والفضة - قد يكون شعاعهما في هذه الدنيا أضواً من شمسها وقمرها، ولكنهما في نور النفس المؤمنة كحصاتين يأخذهما من تحت قدميه، هكذا كان الشيخ غناه في نفسه، وثقته بربه، واتكاله عليه.

### وفاته:

صبر الشيخ على مرض موته وكان حامداً لله شاكرًا قائلًا: "أنا عبدُ الله يفعل بي ما يشاء".

وقد توفي رحمه الله يوم الأربعاء 3/ ذي القعدة /1430 هـ الموافق 2009/10/21 م.

وُصلي عليه في مسجد بني أمية الكبير بعد صلاة العصر من يوم وفاته، وكانت جنازته مهيبة حضرها العلماء، وخرج فيها عشرات الآلاف من الناس، ودفن في باب الصغير رحمه الله تعالى وجمعنا به في مستقر رحمته.

والناسُ مَاتَمُّهم عليه واحدٌ	في كُلِّ دارٍ رَنَّةٌ وزَفِيرٌ
أما القبور فإنهن أوانسٌ	بجوار قبرك والديار قبور
ردتْ صنائعه إليه حياته	فكأنه مِنِ نشره منشور

رحم الله علماءنا الأجلاء فهو والله عام الحزن في دمشق .

فلم أرَ مثْلهم ماتوا جميعاً  
ولم أرَ مثلَ هذا العامِ عاما  
وإني أتوجه إلى الله سبحانه أن يوفق ولاية أمور المسلمين لما يحب ويرضى ، وأن يجعل لهم بطانة خير تعينهم على الحق يا أرحم الراحمين .

وأشكر ساداتنا العلماء وأخص بالذكر فضيلة الأستاذ الداعية المربي الدكتور محمد هشام البرهاني حفظه الله وأمد في عمره.

وأسأله سبحانه أن نهج نهج أولئك القوم في الاستقامة والعلم والعمل ، وترك الحقد والحسد لنلق الله وهو عنا راض إنه سميع قريب مجيب .

اللهم اخلفنا خيراً منهم بجاه حبيبك سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .  
أخوتي في الله : إن الشيخ لم يُعطَ حقه في هذه العجالة ، وهو أعظم من أن يُترجم في  
جلسة واحدة .  
وإن كنت أحسنت فمن فضل الله وحده لا شريك له ، وإلا فمن ذنوبي ، فأسأل الله أن  
يعفو عني والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .